ثمـــن الانتـــقال

عندما تتحدث الأرقام تتكشف الحقائق

(سرد تأريخي لتوثيق الانتهاكات ضد ثورة ديسمبر المجيدة)

ديسمبر ٢٠١٨م- أغسطس ٢٠١٩م

النسخة الأولى

ثمـــن الانتـــقال

عندما تتحدث الأرقام تتكشف الحقائق

(سرد تأريخي لتوثيق الانتهاكات ضد ثورة ديسمبر المجيدة)

ديسمبر ٢٠١٨م- أغسطس ٢٠١٩م

النسخة الأولى

فهرس

الإهداء ..... (٣)
المقدمة ..... (٤)
الفصل الأول: ما قبل السقوط ..... (٦)
الفصل الثاني: ما قبل المذبحة..... (٩)
الفصل الثالث: ما قبل الإعلان الدستوري..... (١٢)
ملحق المقارنة..... (٢١)
الخاتمة ..... (٢٥)
المراجع..... (٢٦)

مهدى إلى

روح ماكور أول شهداء ثورة ديسمبر المجيدة

روح كل شهيد وفقيد صدح بكلمة الحق في وجه الظلم
كل مفقود ومصاب

مقـــــدمة:

في شهر ديسمبر ٢٠١٨م بدأت أحداث ثورة مجيدة، قُدِّمت خلالها تضحيات جسام وعدّة، من مختلف فئات الشعب السوداني، في العاصمة/ الولايات والعديد من مناطقها الحضرية والريفية، ثورة أبهرت العالم أجمع بسلميتها ضد نظام مستبد جثم على صدور الشعب السوداني لما يقارب الـ٣٠ عاماً، قدم هذا الشعبً خلالها أغلى ما يملك وهم الشهداء الأكارم، إضافة إلى الآلاف من المصابين وعدد من المفقودين.

تداعى الكل لدعم الثورة وتوحد الشرفاء من أبناء الشعب السوداني في الداخل والخارج خلف مطلبها الوحيد «تسقط بس»، ثورةٌ كانت السلمية عنوانها الرئيسي وشعارها: حرية سلام وعدالة.

من قلب هذا الشعب جاءت «حاضرين» كمبادرة تضم مجموعة من مختلف الفئات العمرية، تنادت من أجل تقديم كل الممكن لعلاج المصابين ودعم أسر الشهداء إضافةً إلى تعويض المتضررين.

يأتي هذا السرد ليس لعكس المجهودات التي بُذلت خلال الثورة من قِبَل المبادرة وشركائها في الداخل والخارج، إنما لتوثيق حجم الانتهاكات التي ارتُكبت في حق هذا الشعب النبيل، ليس في ظل النظام البائد فحسب؛ بل أيضاً تحت سمع وأبصار قادة المجلس العسكري الانتقالي الذين تسلموا مقاليد الحكم في البلاد بعد تنحي الفريق أول عوض بن عوف، فـ«حاضرين» مجرد واسطة خير بين الداعمين من السودانيين داخل وخارج السودان من جهة والمستحقين من فئات المصابين/ أسر الشهداء والمتضررين.

تراكمت الانتهاكات مع تسلسل الأحداث وتصاعد العنف ضد المتظاهرين السلميين وظهرت جلياً في أنواع الإصابات وأسباب الوفاة، ابتداءً من الضرب بالعصي والسياط مروراً بعبوات الغاز المسيل للدموع والأعيرة المطاطية وصولاً للأعيرة النارية الحية والإغراق، هذا غير حالات العنف الجنسي وعدد من المفقودين غير معلومي المصير حتى الآن.

يوثق هذا السرد للفترة من ديسمبر ٢٠١٨م وحتى يوم توقيع الإعلان الدستوري في ١٧ أغسطس ٢٠١٩م. لأغراض التوثيق تم تقسيمه لثلاث مراحل: أُولاها مرحلة ما قبل السقوط وتوثق للفترة ما بين «ديسمبر ٢٠١٨م و١١ أبريل ٢٠١٩م»؛ ثانيها مرحلة ما قبل مذبحة فض الاعتصام وتوثق للفترة ما بين «الثاني عشر من أبريل ٢٠١٩م والثاني من يونيو ٢٠١٩م» والتي شهدت مجزرة الثامن من رمضان؛ وأخيراً

مرحلة **ما قبل الإعلان الدستوري**، وتوثق **للفترة** ما بين «**الثالث من يونيو ٢٠١٩م والسابع عشر من أغسطس ٢٠١٩م**» والتي شهدت **المذبحة الأليمة** وما تلاها من **استباحة** لعدد من المدن السودانية لعدة **أيام** وبالأخص العاصمة القومية، إضافة إلى مواكب **الثلاثين من يونيو ومجزرة الأبيض**.

تم اختيار «**ثمن الانتقال**» عنواناً لهذا السرد، بهدف التذكير الدائم بحجم ما قدم من **تضحيات** مهراً للعبور لسودانٍ ينعم بالحرية والعدالة متسام فوق العصبيات الاثنية والعرقية. تذكير في المقام **الأول** لكل مكونات **الثورة** سواء المشاركة في أجهزة الحكم الانتقالي أو خارجها بمختلف هيئاتها وأسمائها ولباقي فئات الشعب السوداني بشقيها المدني والعسكري في المقام **الثاني**، وتخليداً لذاكرة النضال السوداني في الوجدان لتتسلح به أجيال المستقبل.

يتناول هذا السرد عبر فصوله **الثلاثة** توصيفاً عمومياً للأحداث المختلفة والأعداد الموثقة **للشهداء** الذين تم تأكيد **وفاتهم** وربطها بصورة مباشرة بأحداث **الثورة** من قبل **مصادر موثوقة** لدى المبادرة أو من خلال تقارير الطب العدلي ومضابط المشارح، إضافة إلى **الإصابات الحرجة والبالغة** والتي استدعت التدخل الطبي في المؤسسات العلاجية المختلفة داخل وخارج السودان. تنبغي الإشارة إلى أن **كل الأعداد** الواردة **للشهداء والمصابين** في هذا السرد تحتمل الزيادة **ولا** تحتمل النقصان.

تمت إضافة ملحق به **مقارنة** لمجموع إحصاءات عدد من الفئات (وهي **ثلاث** فئات من **الشهداء** الأكارم و**ست** فئات من **المصابين**)، في **الفترة منذ بداية ثورة ديسمبر** المجيدة وحتى **سقوط** النظام البائد **من جهة**، **والفترة** التي كانت **تحت حكم** المجلس العسكري الانتقالي **منفرداً من جهة أخرى**.

تنويه: ستكون هذه الإصدارة هي النسخة الأولى والتي قصد بها أن تكون توطئة لعدة تقارير مفصلة ستصدر تباعاً بقدر المعلومات المتوافرة لدى المبادرة وشركائها عن أنواع الإصابات المختلفة ومضاعفاتها.
في حال وجود أي استفسار أو الرغبة في التقدم بإفادة عن معلومة إضافية أو حدث مؤكد لم يتم تضمينه في هذه النسخة.
يمكن التواصل عن طريق البريد الإلكتروني narrative@hadhreen.org.

الفصل الأول

ما قبل السقوط

(ديسمبر ٢٠١٨م- ١١ أبريل ٢٠١٩م)

شهد شهر ديسمبر ٢٠١٨م بداية أحداث الثورة، واختلفت الآراء عما إذا كانت تظاهرة تلاميذ مدارس الدمازين الحكومية في الثالث عشر من ديسمبر ٢٠١٨م هي الشرارة الأولى، أو أنها كانت في عطبرة بتظاهر تلاميذ مدارس عطبرة الحكومية. الشاهد في الأمر أن تظاهرات مدينة عطبرة في التاسع عشر من ديسمبر ٢٠١٨م هي التي أسفرت عن حدوث أول إصابة وتلتها بعد ذلك حدوث الإصابات في القضارف وعدد من المدن الأخرى، بما فيها العاصمة الخرطوم والتي شهدت تظاهرات متفرقة تلاها خروج أول موكب تمت الدعوة إليه بواسطة تجمع المهنيين السودانيين.

كما قدمت مدينة بربر في العشرين من ديسمبر ٢٠١٨م أول شهداء الثورة، وبعدها تواصل احتساب الشهداء الكرام في مختلف أنحاء السودان، إضافة إلى شهيدين من جنود القوات المسلحة.

تصاعدت وتيرة القمع الدموي من أجهزة النظام البائد الأمنية المختلفة الرسمية وغير الرسمية (الشرطة/ مليشيات مناصري النظام البائد المتعارف على تسميتها بكتائب الظل/ قوات هيئة العمليات التابعة لجهاز الأمن والمخابرات الوطني وعناصره)، في مواجهة المواكب المختلفة والوقفات الاحتجاجية (في مختلف المدن بالولايات والعاصمة) فكان الضرب بالعصي/ الهراوات والسياط، إضافة إلى الضرب الوحشي والتعذيب بواسطة الصعق بالكهرباء داخل مقار ومعتقلات جهاز الأمن والمخابرات الوطني، تطورت الأحداث إلى استباحة حرمات المنازل وممارسات ليست بمستغربة على نظام استحل حرمة دم المواطن السوداني على مدار سنوات حكمه المظلمة، من استعمال السلاح الناري (أعيرة مطاطية/ حية) واستخدام عبوات الغاز المسيل للدموع كسلاح قاتل، وذلك بإطلاقها بصورة أفقية مباشرة على المتظاهرين السلميين، مما أسفر عن وقوع العديد من الضحايا.

شهد الأول من يناير ٢٠١٩م توقيع إعلان الحرية والتغيير، بعدها شكلت القوى الموقعة على هذا الإعلان تنسيقية، مثلت القيادة الشرعية للجماهير الراغبة في إسقاط النظام البائد.

استمرت المواكب والوقفات الاحتجاجية في معظم مدن السودان رغم القمع المتزايد وإعلان حالة الطوارئ من قِبَل رأس النظام البائد، إضافة للاعتقالات العشوائية والمنظمة ضد القيادات «السياسية والمجتمعية» وأعضاء لجان المقاومة التي تشكلت في معظم أحياء مدن السودان المختلفة.

من الملاحظ أن آلة النظام القمعية استهدفت كل الفئات العمرية وطالت حتى الأطفال، كديدنه الدائم في البطش بكل الاحتجاجات السلمية في مختلف أنحاء

السودان منذ استيلائهم على السلطة، فتم رصد عدد من الشهداء الأكارم من الأطفال، بالإضافة إلى العديد من حالات **الإصابات** لدى الأطفال والتي كانت لها **آثارها النفسية** البالغة عليهم.

تداعى معظم السودانيين من داخل وخارج السودان لدعم **الثورة**، فسطروا أعظم **الملاحم** وأزهاها، فكانت مبادرة المؤسسات العلاجية الخاصة بعلاج **مصابي** المواكب **مجاناً**، إضافة إلى حملات جمع التبرعات المختلفة لتقديم **كل الممكن وبعض المستحيل**، كما لم يتوان **جيشنا الأبيض** (أطباء «داخل وخارج السودان»/ تمريض/ اختصاصي المختبرات والصيادلة) **والكوادر الفنية والإدارية** العاملة في مختلف المؤسسات العلاجية الحكومية منها والخاصة، إضافة إلى **شركات الأدوية والمعدات الطبية** عن تقديم أفضل الخدمات العلاجية والرعاية **لأبطالنا وكنداكاتنا من المصابين**.

في **السادس المنصور من أبريل ٢٠١٩م** لبى سكان العاصمة الخرطوم نداء تنسيقية قوى إعلان الحرية والتغيير لتسيير موكب للقيادة العامة للقوات المسلحة السودانية، بعدها تم إعلان الاعتصام في محيط القيادة العامة لحين سقوط النظام الغاشم. تلتها اعتصامات أخرى بعدد من الولايات (البحر الأحمر مثالاً).

جرت عدة محاولات من أجهزة النظام البائد الأمنية **لفض الاعتصام** في **السابع/ الثامن/ التاسع والحادي عشر من أبريل ٢٠١٩م**، وباءت كلها بالفشل بفضل تماسك المعتصمين من أبناء وبنات الشعب السوداني (ليس من مواطني العاصمة وحدها، بل ومن كل مناطق السودان) إضافة إلى هبة الشرفاء من صغار الضباط وجنود القوات المسلحة الذين لبوا نداء الواجب وبروا بقسمهم بحماية المعتصمين السلميين، استعمل فيها **الغاز المسيل للدموع والذخيرة الحية** واستمر خلالها سقوط **الشهداء** ووقوع **الإصابات** في محيط ميدان الاعتصام.

في **عصر الحادي عشر من أبريل ٢٠١٩م** تم خلع النظام ورأسه من قبل ما يعرف باللجنة الأمنية العليا، بعدها شكلت اللجنة مجلساً سمي بالمجلس العسكري الانتقالي لتسيير أمور الحكم لمدة **عامين** وعلى رأسه الفريق أول عوض بن عوف. ولم تتقبل جموع الثوار هذه القرارات الفوقية من المؤسسات العسكرية والأمنية، فسيطرت هتافات الرفض على ميدان الاعتصام وامتد الرفض للشوارع بكسر حظر التجوال الذي أعلنه المجلس الجديد في العاصمة الخرطوم، لكن دون أي احتكاكاتٍ بين المواطنين والقوات العسكرية.

الفصل الثاني

ما قبل المذبحة

(١٢ أبريل ٢٠١٩م- ٢ يونيو ٢٠١٩م)

بعد خلع رأس النظام البائد تواصل الضغط من قبل الجماهير، مما أثمر عن تنحي رئيس المجلس المعين ونائبه في الثاني عشر من أبريل ٢٠١٩م وتشكيل مجلس جديد برئاسة الفريق أول عبد الفتاح البرهان والذي كان يشغل منصب المفتش العام للقوات المسلحة وبدء مفاوضات بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري، تواصل خلالها الاعتصام أمام القيادة العامة بالخرطوم وعدد من مقرات قيادات المناطق العسكرية المركزية بالولايات.

استمر وقوع الإصابات بسبب الإطلاق العشوائي للنيران في محيط ميدان الاعتصام من جنود القوات المسلحة في احتفالاتهم مع المعتصمين.

توقع الكثيرون أن تقل أعداد المعتصمين بسبب حلول شهر رمضان، إلا أن الشعب المدرسة كان عند الموعد مع المعتصمين الصائمين أفراداً وهيئات من كل الديانات والطوائف (الطائفة القبطية ضربوا مثلاً رائعاً) كلٌ بقدرته، فكانت المحصلة أضخم الموائد الرمضانية وحتى وجبة السحور كانت توفر يومياً.

مجزرة الثامن من رمضان

في الثامن من رمضان الموافق الثالث عشر من شهر مايو ٢٠١٩م هاجمت قوات عسكرية ترتدي زياً مطابقاً للزي الذي ترتديه ما تعرف بعناصر قوات الدعم السريع وبمواكبة مركبات عسكرية تحمل اللوحات الرسمية لقوات الدعم السريع المعتصمين المتواجدين على الترس المقام على شارع النيل من جهة جامعة الخرطوم (مجمع الوسط)، بحسب إفادات لشهود عيان ومن أصيبوا فيما سميت بمجزرة الثامن من رمضان، واستمر إطلاق الرصاص الحي لعدة ساعات مما أسفر عن سقوط أربعة شهداء وما يزيد عن الـ١٠٠ مصاب، فارق الحياة بعدها منهم ثلاثة شهداء آخرين.

احتسبت القوات المسلحة ضابطاً واحداً ولم يتم الكشف عن التفاصيل الكاملة لملابسات مقتله.

في العاشر من رمضان الموافق الخامس عشر من مايو ٢٠١٩م جرى أيضاً إطلاق للنار بالذخيرة الحية لفترة قليلة قبل الافطار مباشرةً في أحد مداخل ميدان الاعتصام من جهة شارع الجمهورية، من قبل عناصر ترتدي زياً مطابقاً لزي قوات الدعم السريع طبقاً لإفادات شهود عيان ومن أصيبوا، وبلغ عدد المصابين في ذلك اليوم ما يقارب الـ١٠.

في نهار الرابع والعشرين من رمضان الموافق التاسع والعشرين من مايو ٢٠١٩م، تضاربت الآراء عن حقيقة ما حدث في ذلك التوقيت، لكن وطبقاً للإفادات من شهود عيان موثوقين، أن مشادة بدأت بين اثنين من الجنود يتبعون للقوات المسلحة

السودانية وتطورت إلى **إطلاق أعيرة نارية حية**، أدت إلى حدوث **إصابات** واحتساب **شهيدة**.

في **مساء نفس اليوم** حدث ما عرف **بعملية تجفيف منطقة كولومبيا**، **واشتبكت** القوات المنفذة للعملية مع بعض المعتصمين و**أصيب** خلالها **العديد منهم**.

مع اقتراب نهاية الشهر الفضيل بدأ التجهيز لصلاة عيد الفطر بميدان الاعتصام والتي كان مقدراً لها أن تكون من أضخم التجمعات التي مرت على العاصمة الخرطوم لولا **الفاجعة الأليمة**.

الفصل الثالث

ما قبل الإعلان الدستوري

(٣ يونيو ٢٠١٩م- ١٧ أغسطس ٢٠١٩م)

مذبحة فض الاعتصام

في فجر الثالث من يونيو ٢٠١٩م وصل إلى محيط ميدان الاعتصام رتلٌ مكون من مركبات عسكرية مسلحة جميعها بسلاح «مدفع الدوشكا» تحمل اللوحات الرسمية الخاصة بقوات الدعم السريع وتحمل على متنها أفراداً، جزءٌ منهم يرتدون نفس الزي المميز لقوات الدعم السريع والبقية يرتدون نفس الزي باستثناء أنهم يرتدون خوذات في الرأس، بعدها وصلت مجموعة من المركبات المتشابهة (جميعها دون لوحات) وتحمل أفراداً يرتدون الزي الرسمي لقوات الشرطة السودانية، شكلت المجموعتان ستاراً ما بين المعتصمين ومداخل القيادة العامة للقوات المسلحة وفقاً لإفادات موثقة لناجين ومقاطع الفيديو المختلفة.

من ملاحظات الناجين أن جميع فوهات «مدافع الدوشكا» بالمركبات كانت موجهة نحو أسوار القيادة العامة وليس المعتصمين.

انتهاكات المذبحة (داخل محيط ميدان الاعتصام):

مع شروق الشمس اقتحمت قوتان محيط ميدان الاعتصام من جهة جسر النيل الأزرق.

القوة الأولى والتي ترتدي أحد الأزياء الخاصة بقوات الشرطة السودانية قدمت من الجهة الغربية لشارع النيل حسب إفادة بعض الناجين.

القوة الثانية والتي يرتدي معظم أفرادها زياً شبيهاً بالزي الذي ترتديه قوات الدعم السريع باستثناء خوذات الرأس، قدمت من جهة الخرطوم بحري عبر جسر النيل الأزرق حسب إفادة بعض الناجين.

تم استعمال عبوات الغاز المسيل للدموع بكثافة، بعدها وفي خلال الهجوم تم استعمال العصي والهراوات ومن بعدها السلاح الناري الحي بعشوائية وكانت الوحشية هي السمة السائدة على تعامل القوات المهاجمة مع المعتصمين المدنيين.

من الإفادات الصادمة لبعض الناجين والذين كانوا موجودين قرب بوابة رئاسة القوات البحرية، أنه بعد اقتحام ميدان الاعتصام من الجهة الشمالية الشرقية، قامت جزء من القوات بالتجمع في المكان المعروف بالنفق في شارع الجمهورية وبعدها مباشرةً قامت باقتحام الجزء الرئيسي من ميدان الاعتصام من الجهة الغربية، وكان يسير أمام التشكيل عنصرين يرتديان الزي المميز الكامل لقوات الدعم السريع وكانا مسلحين ببندقيتين (سوداء اللون)، وكان أحدهما يستهدف المعتصمين المنسحبين من أرض الاعتصام بطلقات نارية مباشرة، وعندما نفذت طلقات بندقيته قام العنصر الثاني بمناولته البندقية التي بحوزته ليواصل إطلاق

النار بكل برود وحشي على المعتصمين والذين كانوا في طريقهم لمغادرة المكان.
استباحت القوات مباني مجمع الوسط والمستوصف التابع لجامعة الخرطوم/ داخليات الطلاب/ في المنطقة مركز التدريب المهني ومسجد الجامعة.
هاجمت القوات مستشفى المعلم وقامت بإطلاق أعيرة نارية مباشرة على مبنى المستشفى تسببت في إحداث أضرار بالواجهة الجنوبية للمستشفى، بعدها قامت بفرض حصار على المستشفى تسبب في صعوبة وصول الكوادر الطبية الراغبة في تقديم يد العون وإيصال المساعدات الطبية والأطعمة ومياه الشرب للمتواجدين داخل المستشفى من مصابي الثورة المنومين وجزءٌ منهم كان بالعناية المكثفة/ كوادر طبية/ كوادر إدارية/ عدد من المعتصمين والمرافقين (معظمهم كانوا صائمين).
حسب إفادات الناجين فقد تم إغلاق جميع مداخل القيادة العامة/ الفرقة الخامسة مشاة وجميع المقار التابعة للقوات المسلحة في المنطقة في وجه المعتصمين بواسطة جنود وضباط يتبعون للقوات المسلحة السودانية، بالإضافة إلى إغلاق مداخل جامعة الرباط الوطني بواسطة قوة الحراسة التابعة للشرطة السودانية.
تم اعتقال العديد من المعتصمين من داخل ميدان الاعتصام، وتم اقتيادهم إلى أماكن مختلفة شملت مرافق تابعة للشرطة السودانية حيث تم إطلاق سراح معظمهم والتحفظ على جزءٍ منهم بالقسم الشمالي بالخرطوم.
تم إجلاء عدد من المصابين إصابات خطرة من محيط ميدان الاعتصام بواسطة سيارات إسعاف تحمل اللوحات الرسمية الخاصة بقوات الدعم السريع حسب إفادات الناجين، لاحقاً تكشف أن كل سيارات الإسعاف توجهت لمستشفى الأمل التابع لجهاز الأمن والمخابرات الوطني بحي كوبر بالخرطوم بحري.
عدد الشهداء الأكارم الذين حدثت وفاتهم مباشرةً من إصابات داخل محيط ميدان الاعتصام هو ١٥ شهيد، يشمل هذا العدد الجثامين الطاهرة التي وصلت لمشرحة مستشفى بشائر التعليمي مباشرةً من مستشفيات المعلم/ رويال كير والزيتونة.
٣٧٩ هو عدد المصابين الذين وصلوا مستشفيي المعلم ورويال كير في الفترة التي تسبق منتصف ظهر يوم المذبحة والذين هم في تقديرنا من أصيبوا داخل الميدان وفي أثناء انسحابهم للنجاة بحياتهم.

حالات العنف الجنسي:

حسب تقرير مركز الأحفاد للإرشاد وعلاج الصدمة النفسية، فقد تم حصر ٦٥ بلاغاً من سيدات أفدن بتعرضهن للعنف الجنسي بأنواع مختلفة في يوم المذبحة، ٣٦ ناجية منهن كن قيد المتابعة المباشرة من قبل الفريق الميداني لباحثات المركز، تعرضت ٣١ حالة منهن للاغتصاب، ٢٣ حالة منهن تم التناوب على اغتصابهن من

قبل مجموعة (بعض الناجيات أفدن بتعرضهن للاغتصاب داخل مسجد الجامعة). ثمان حالات تم التدخل الجراحي لمعالجة المضاعفات والآثار الجانبية من قبل مختصين، وجزءٌ من الناجيات الباقيات كن قد بدأن في تلقي العلاج، ولكنهن لم يواصلن إما بسبب السفر خارج السودان أو الامتناع عن الحضور والتواصل مع الفريق العلاجي لأسباب خاصة بهن، أحد الأسباب التي أفادت بها إحدى الناجيات هو تلقيها لرسائل تهديد.

انتهاكات ما بعد المذبحة (خارج محيط ميدان الاعتصام):

واصلت نفس القوات تعقب المنسحبين من الاعتصام وتمشيط أحياء بري واقتحام عدد من المنازل وصولاً إلى جسر «المنشية- شرق النيل» وكذلك حيي امتداد ناصر والصفا.

وفقاً لرواية أحد الناجين بأنه شاهد أفراداً يرتدون أزياءً عسكرية يقومون بإلقاء شخصين يرتديان أزياء مدنية مقيدين بحبال وقطع طوب إسمنتية من جسر «المنشية- شرق النيل» مباشرةً في مياه نهر النيل الأزرق «كان أحدهما بالتأكيد على قيد الحياة» تم التعرف عليهما لاحقاً بعد انتشال جثمانيهما الطاهرين.

وفقاً لإفادات بعض الناجين من المذبحة والذين سلكوا في هروبهم شارع الجمهورية وصولاً لتقاطع شارع القصر، أنهم تعرضوا للضرب بواسطة العصي والسياط من أفراد يرتدون زياً شبيهاً بالزي الرسمي لقوات الدعم السريع، كما أنهم ميزوا لوحات المركبات العسكرية على طول الشارع وكلها كانت تحمل اللوحات الرسمية لقوات الدعم السريع.

بعض الناجين أفادوا بأنه تم إجبارهم على التدحرج في الأرض والزحف فوق المياه الراكدة بواسطة قوة بقيادة ضابط برتبة لواء ويرتدي أحد الأزياء الرسمية للقوات المسلحة في المنطقة بين ميدان الاعتصام وشارع المك نمر.

بعد مفاوضات مضنية مع القوات المحاصرة لمستشفى المعلم تم السماح في مساء يوم المذبحة بدخول سيارات إسعاف/ شاحنة نصف نقل وسيارات خاصة لإجلاء المصابين وبقية المحاصرين، وللأسف فاضت روح أحد مصابي مجزرة الثامن من رمضان (كان طريح الفراش بقسم العناية المكثفة) أثناء عملية الإجلاء.

تمركزت مركبات عسكرية تحمل اللوحات الرسمية الخاصة بقوات الدعم السريع قرب مستشفى رويال كير وفقاً لإفادات بعض الناجين وفرضت نهار يوم المذبحة حصاراً شبيهاً بحصار مستشفى المعلم، كما تم الاعتداء على أحد الكوادر الطبية داخل حرم المستشفى، وتسبب إطلاق الأعيرة النارية العشوائي في الهواء من قبل هذه القوات على متن المركبات العسكرية التي تحمل جميعها اللوحات الخاصة

بقوات الدعم السريع، في إصابة أحد المدنيين جوار سور المستشفى، بعدها تولى أهالي أحياء بري الشرفاء «راجلين» تهريب الغذاء ومياه الشرب تحت جنح الليل للموجودين داخل المستشفى في مساء يوم المذبحة، ولم يتم السماح للمحاصرين داخلها بالخروج إلا في صبيحة اليوم التالي، مع الإبقاء على المصابين من الحالات الحرجة بالمستشفى بعد مفاوضات شاقة أخرى مع ضابط يرتدي الزي الرسمي لقوات الدعم السريع.

تم قطع معظم خدمات الإنترنت في عموم السودان، وحسب مصادر في الهيئة القومية للاتصالات أن التوجيه بالقطع جاء من المجلس العسكري الانتقالي وهو ما أنكره المجلس لاحقاً، كما تم فض جميع اعتصامات الولايات.

امتدت المواجهات بين أفراد قوات الشرطة السودانية وعناصر قوات الدعم السريع من جهة والثوار من جهة أخرى في نفس يوم المذبحة والأيام التي تلتها لأحياء مختلفة من العاصمة الخرطوم ومدن مختلفة في الولايات وأسفرت عن العديد من المصابين والشهداء.

مع تقييد الحركة وانتشار القوات الأمنية الكثيف في المدن الكبرى وبالذات في العاصمة، تمت الاستعانة داخل العاصمة بسيارات الهلال الأحمر السوداني لإيصال المساعدات الطبية للمستشفيات، وتولى مهمة إيصال الإمداد الغذائي لعدد من المؤسسات العلاجية التي واصلت في تقديم خدماتها العلاجية للمصابين عدد من المتطوعين.

المفقودون:

بعد المذبحة بدأت بعض الأسر في إصدار مناشدات بشأن أبنائها الذين لم يتم العثور عليهم أو التواصل معهم.

بعد مرور أسبوعين من المذبحة بدأ بعض المفقودين بالظهور، وصل العدد الذي تواصلت معهم المبادرة عن طريق أسرهم أو «مبادرة مفقود» إلى ستة أشخاص، جميعهم تم العثور عليهم وعلى أجسامهم آثار تعذيب واضحة وفي حالة نفسية سيئة للغاية، استدعت أن يتم تنويمهم بمؤسسات علاجية لتقديم العون الطبي اللازم بواسطة اختصاصيين في الطب النفسي.

اثنان منهم أفادا باعتقالهما خارج ميدان الاعتصام وتم اقتيادهما إلى مقر يتبع لقوات الدعم السريع بالخرطوم بحري جوار جسر شمبات، حيث تعرضا للضرب المتواصل لأيام ولم يتم إطلاق سراحهم إلا بعد مضي أكثر من أسبوعين.

أحد المفقودين والذي كان يعاني أصلاً من وضع نفسي غير مستقر، تعرفت عليه أسرته في فيلم وثائقي عرض في تلفزيون السودان القومي حمل اسم «خفافيش

الظلام»، ظهر فيه ابنهم في مشهد وهو يتعرض للتعذيب بواسطة مجموعة صورت في الفيلم على أنهم من الثوار في تزييف واضح للحقائق.

أحد المفقودين أفاد بأنه تم اقتياده إلى مبنى في حي المنشية بواسطة قوة عسكرية حيث تعرض للضرب المتواصل وتم إطلاق سراحه بعد مضي أكثر من أسبوعين، ومن المعروف أن المبنى الوحيد الذي يتبع لجهة نظامية في المنشية هو إحدى إدارات قوات الدعم السريع.

اثنان من المفقودين ورد ذكرهما في فقرة «انتهاكات ما بعد المذبحة» انتشل جثمانيهما الطاهرين من مياه النيل لاحقاً.

لا يزال ستة من المفقودين غير معلومي المصير حتى يومنا هذا، تتضرع أسرهم ليل نهار للحصول على معلومة واحدة عن مصير أبنائها حسب مبادرة «مفقود».

استقبلت مشارح مستشفيات بشائر/ أمدرمان والأكاديمي في نفس يوم المذبحة وحتى العاشر من يونيو ما يزيد عن ال٨٠ جثماناً بأسباب وفاة مختلفة، ٦٠ جثماناً طاهراً تم التحقق منها جميعاً، إضافة إلى سبعة جثامين طاهرة أخرى مجهولة الهوية تحمل جراحاً ناتجة عن أعيرة نارية استقبلتها مشرحة مستشفى بشائر التعليمي تم التعرف على أربع منها لاحقاً ودفن الثلاثة الباقين/ شهيدين من أمدرمان رفضت أسرتاهما التشريح والشهيدين الذين تم انتشال جثمانيهما الطاهرين من نهر النيل في الخامس من يونيو.

بعدها وقبل الثلاثين من يونيو احتسبت الخرطوم ٣ شهداء آخرين من مصابي يوم المذبحة توفوا متأثرين بإصاباتهم حسب تقارير التشريح الصادرة من الطب الشرعي، من ضمنهم طفل توفي متأثراً بجراح ناتجة عن (ضربة ساطور) في الرأس في نفس يوم المذبحة (غير معلوم مكان الإصابة الجغرافي).

في الخامس من يونيو احتسبت القضارف شهيداً واحداً، كما احتسبت ربك أربع شهداء في نفس اليوم.
في العاشر من يونيو احتسبت رفاعة طفلاً توفي متأثراً بحروق بالغة لحقت به أثناء محاولته إشعال إطار سيارة في مظاهرات التصعيد بالمدينة.
عدد الشهداء المؤكدين الذين حدثت وفاتهم نسبةً لإصابات لحقت بهم خارج محيط ميدان الاعتصام هو ٥٤ شهيداً.
ما يقارب الخمسمائة مصاب أدخلوا لمستشفيات فضيل/ إبراهيم مالك/ الزيتونة/ إمبريال/ بشائر/ شرق النيل/ الدولي والأربعين بعد منتصف ظهر يوم المذبحة وحتى منتصف الليل والذين هم في تقديرنا، معظمهم أصيبوا خارج محيط ميدان الاعتصام وفي أحياء العاصمة المختلفة.
حصيلة شهداء العاصمة الخرطوم وحدها (الثالث من يونيو إلى العاشر منه) ٦٩ شهيداً مؤكداً وأربع شهداء غير مؤكدين، إضافة إلى ثلاثة شهداء آخرين، شهيدين تم انتشال جثمانيهما الطاهرين (تمت الإشارة إليهما في فقرة انتهاكات ما بعد الفض) من نهر النيل في الخامس من يونيو وتم التعرف عليهما من قبل أسرتيهما لاحقاً في شهر أكتوبر، شهيد أخير فارق الحياة متأثراً من الإصابة التي لحقت به في يوم المذبحة، ليصبح العدد الكلي للشهداء المؤكدين ٧٤ شهيداً إضافة إلى أربعة شهداء غير مؤكدين تم ذكر تفاصيلهم أعلاه.
إن ما جرى في محيط الاعتصام في ذلك اليوم يرقى بما لا يدع مجالاً للشك لمستوى الجرائم ضد الانسانية من قتل وحالات عنف جنسي موثقة، جنباً إلى

جنب حرق خيام المعتصمين، إضافة لنهب وتدمير الممتلكات / المنقولات وسيارات المعتصمين التي تركوها ورائهم لينجوا بحياتهم.

مما تقدم ذكره، يتضح جلياً أن ادعاءات قادة المجلس العسكري الانتقالي وتوصيفهم المخل لمجريات الأحداث في تصريحاتهم لوسائل الإعلام بأنها تجاوزات من القوة الميدانية المكلفة بتجفيف المنطقة التي تعارف على تسميتها «كولومبيا» والواقعة في الجهة الشمالية من شارع النيل، فيه طمس واضح ومتعمد لحقيقة ما جرى من انتهاكات في الثالث من يونيو وحتى العاشر منه.

انتهاكات مواكب الثلاثين من يونيو:

بعد تنفيذ عصيان مدني دعت له تنسيقية قوى الحرية والتغيير، تبنت التنسيقية دعوة الخروج في الثلاثين من يونيو ٢٠١٩م والتي ذاع صداها في الوسائط الاجتماعية، فصدر نداء رسمي من التنسيقية لعموم الشعب السوداني في مختلف أنحاء السودان، بالخروج في مواكب هادرة لتعرية ادعاءات المجلس العسكري الانتقالي بعدم شرعية تمثيل قوى إعلان الحرية والتغيير لجموع الثوار وضرورة اشراك أطراف أخرى في المفاوضات.

وكان الشعب في الموعد وخرجت المواكب في معظم الولايات، وتكرر سيناريو اقتحام المستشفيات في القضارف، حيث اقتحمت قوات ترتدي زي قوات الشرطة السودانية حرم المستشفى التعليمي.

مجدداً تم استعمال الذخيرة الحية وإطلاق عبوات الغاز المسيل للدموع بصورة مباشرة على المتظاهرين السلميين. وبحسب إفادات شهود عيان وبالتحديد في مواجهات مدينتي أمدرمان (جوار قصر الشباب والأطفال) وعطبرة، فإن القوات التي هاجمت المتظاهرين السلميين، كانت ترتدي الزي المميز لقوات الدعم السريع وكانت كل المركبات العسكرية (المواكبة للقوات) تحمل اللوحات الرسمية الخاصة بقوات الدعم السريع. وبحسب إفادات أخرى، فقد اشتركت قوات الشرطة السودانية أيضاً في قمع عدد آخر من المواكب وبالذات في مدينتي الخرطوم والخرطوم بحري.

في ذلك اليوم احتسبت العاصمة وبالتحديد أمدرمان عدد ستة شهداء من بينهم طفل عمره سنتان، إضافة لعطبرة والتي احتسبت شهيداً واحداً، فضلاً عن العديد من المصابين في مدن مختلفة فارق أحدهم الحياة بعدها بسبب إصابته التي حدثت أثناء مشاركته في موكب مدينة القضارف.

في صباح اليوم التالي تم العثور على ثلاث جثامين طاهرة بمدينة أمدرمان ملقاة جوار مدرسة المؤتمر الثانوية (خور أبو عنجة) كلها تحمل جراح ناتجة عن أعيرة

نارية حية.

في الرابع عشر من يوليو تم مهاجمة مظاهرة بمدينة السوكي من قبل أربع مركبات تحمل جميعها اللوحات الرسمية الخاصة بقوات الدعم السريع حسب إفادات شهود العيان واحتسبت المدينة شهيداً واحداً.

مجزرة الأبيض:

في التاسع والعشرين من يوليو ٢٠١٩م وضمن تظاهرات التصعيد التي انتظمت في العديد من المدن، وفي أثناء سير المفاوضات بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري الانتقالي، خرجت تظاهرة حاشدة في مدينة الأبيض، وتم التصدي لها كالعادة بعنف وحشي ولأول مرة استخدمت القوات التي تتبع للدعم السريع سلاح «مدفع الدوشكا» ضد المتظاهرين السلميين في قلب سوق مدينة الأبيض.

احتسبت الأبيض في ذلك اليوم ٥ شهداء والعديد من المصابين وتم تحويل ثلاثة مصابين للخرطوم لمتابعة العلاج فاضت روح اثنان منهم في الخرطوم لاحقاً.

في الثلاثين من يوليو ٢٠١٩م وفي أثناء مظاهرة في الخرطوم بحري للتنديد مجزرة الأبيض، أصيب أحد المواطنين إصابة بالغة بشظايا قنبلة صوتية، فارق على أثرها الحياة في شهر أكتوبر ٢٠١٩م.

في الأول من أغسطس ٢٠١٩م وفي أثناء تظاهرة بمدينة أمدرمان للتنديد بمجزرة الأبيض، تم استعمال الذخيرة الحية مجدداً لتفريق المظاهرة مما أسفر عن سقوط ٤ شهداء والعديد من المصابين.

في الخامس من أغسطس ٢٠١٩م تجمهر عدد من المواطنين جوار جسر السليم-دنقلا بولاية الشمالية للاحتجاج على قطوعات الإمداد الكهربائي، مجدداً تم استعمال الذخيرة الحية واسفرت عن شهيد واحد وعدد من الإصابات.

في السابع عشر من أغسطس ٢٠١٩م تم توقيع الإعلان الدستوري.

ملحق المقارنة

قبل وبعد السقوط

بعد أن تنسم الشعب السوداني الحرية لأول مرة منذ ثلاثين عاماً، ظن الجميع أن أيام القهر والترويع قد ولت إلى غير رجعة، لم يدروا بما يخبئه لهم المستقبل القريب فتواصل احتساب الشهداء وسقوط الضحايا بمختلف أنواع الإصابات، فترةٌ مظلمة لامس فيها الجميع نفس المعاناة التي شهدها أهالي مناطق النزاع في عهد النظام البائد من قتلٍ وتشريد، إضافة لحرق الممتلكات وأخيراً العنف الجنسي تجاه النساء.

نضع بين أيدي الشعب السوداني مقارنة سريعة لإحصاءات موثقة للشهداء والمصابين (تحتمل الزيادة ولا تحتمل النقصان) في الفترة منذ بداية الثورة إلى يوم سقوط النظام البائد في الحادي عشر من أبريل ٢٠١٩م (قبل السقوط) من جهة والفترة التي تلت يوم السقوط إلى يوم توقيع الإعلان الدستوري في السابع عشر من أغسطس ٢٠١٩م (بعد السقوط).

عدد الشهداء الأكارم في ثورة ديسمبر المجيدة حسب ما شملته سجلات مبادرة حاضرين في الفترة من ديسمبر ٢٠١٨م- أغسطس ٢٠١٩م بلغ ١٨٦ شهيداً.

عدد المصابين في ثورة ديسمبر المجيدة من مختلف الولايات والذين تم تقديم خدمات علاجية لهم بالمؤسسات الصحية المختلفة حكوميةً كانت أم خاصة بولاية الخرطوم فاق الألفَي مصاب، أقل من نصفهم كانت إصاباتهم قبل السقوط والجزء الأكبر منهم بعد السقوط.

في فئة الشهداء تم اختيار ثلاث فئات وهي:

١- مجموع الشهداء الأكارم عموماً.

٢- الأطفال (ممن تقل أعمارهم عن ١٨ عاماً).

٣- شهيدات الثورة.

في فئة المصابين تم اختيار ست فئات (كانت الإصابة هي السبب المباشر في التصنيف) وهي:

١- فقدان أحد الأعضاء الحسية (كف/ جزء من الذراع/ ساق وعين).

٢- أنواع الشلل المختلفة (كلي/ نصفي وجزئي).

٣- تدني درجة الوعي (غيبوبة كاملة/ درجة وعي متدنية).

٤- أنواع مختلفة من الإعاقات الدائمة.

٥- الحروق بدرجاتها المختلفة.

٦- الصدمة النفسية (ممن تم إدخالهم لمؤسسات علاجية).

27 شهيداً من الاطفال (أقل من 18 عام)

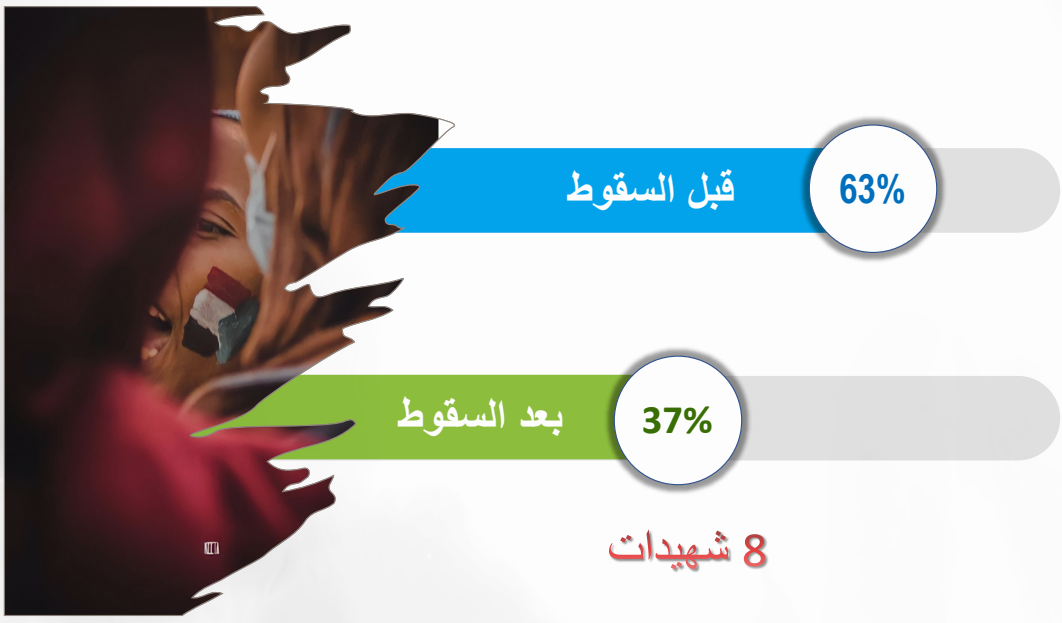

8 شهيدات

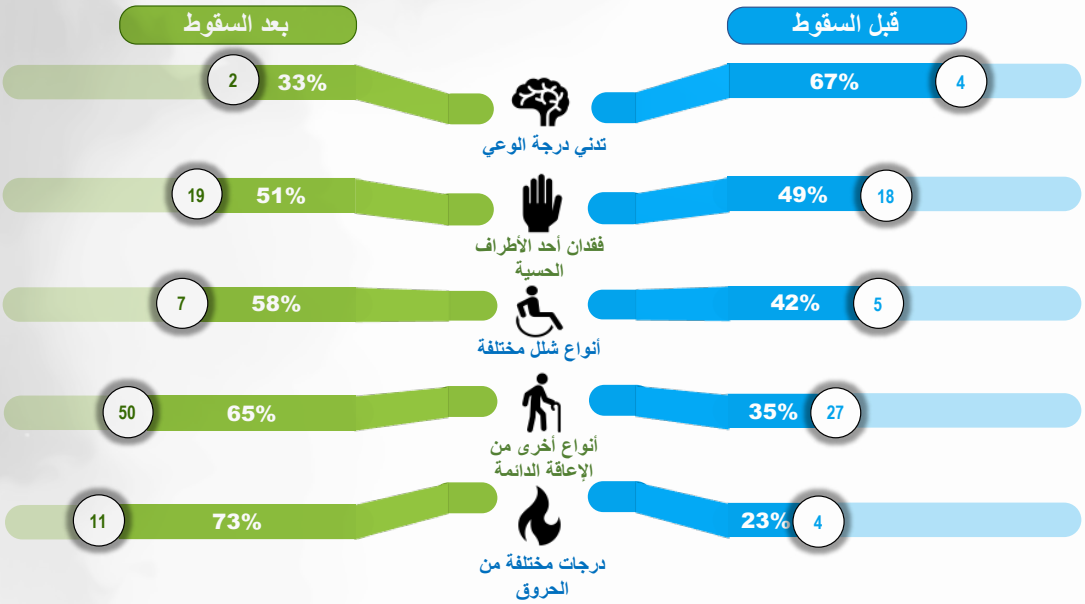
قبل السقوط
بعد السقوط
تدني درجة الوعي
4
67%
2
33%
فقدان أحد الأطراف الحسية
18
49%
19
51%
أنواع شلل مختلفة
5
42%
7
58%
أنواع أخرى من الإعاقة الدائمة
27
35%
50
65%
درجات مختلفة من الحروق
4
23%
11
73%

قبل السقوط
بعد السقوط
الضرر النفسي (تم إدخالهم لمؤسسات علاجية)
1
10%
9
90%
حالات لا زالت قيد العلاج
17
28%
43
72%

الخـــاتمة:

هبت رياح الثورة في ديسمبر وأبهرت العالم أجمع بسلميتها وصمودها فكان سقوط النظام في أقل من أربعة أشهر، بعدها وبدلاً عن قطف ثمار هذا الانتصار المهور بالدم، دخلت البلاد في دوامة من الشد والجذب استمرت لأكثر من أربعة أشهر.
المبكي في الأمر أنه عند مقارنة أعداد الشهداء الأكارم والأبطال المصابين في الفترتين، سيتضح جلياً أن من يتباكون اليوم على أوضاع البلاد وهم شركاء في حكمها، هم نفسهم حين تسلموا مقاليد الحكم منفردين، ذاق هذا الشعب النبيل صنوفاً من الذل والمهانة والترويع بما فيها استحلال دماء المدنيين الأبرياء، بل ولم يمتلكوا الشجاعة الكافية للاعتراف وتحمل المسؤولية.

الفترة التي كانت تحت حكم المجلس العسكري الانتقالي والتي امتدت طيلة الأشهر الواقعة بين أبريل وسبتمبر من العام ٢٠١٩م كانت عصيبة ومظلمة، أعادت إلى الأذهان ذكرى المذابح المختلفة التي جرت في عهد النظام البائد في مختلف مناطق السودان منذ انقضاضهم على السلطة في الثلاثين من يونيو ١٩٨٩م، مروراً بسنوات حكمهم الدموي وصولاً إلى محاولاتهم اليائسة للتشبث بكراسي السلطة بعد اندلاع ثورة ديسمبر المجيدة، فترة تقاعسوا فيها عن أداء دورهم الأساسي ألا وهو حماية المواطنين الأبرياء، كانوا فيها الحَكَمُ والجلاد واليوم يودون تقمص دور الضحية.
هذا السرد التأريخي من أعضاء الفريق العامل بالمبادرة والذي راعينا فيه الدقة ما استطعنا، حتى أنه تم استبعاد العديد من الشهداء الذين ورد ذكرهم من قبل جهات أخرى، لعدم تمكننا من التحقق الكامل من تفاصيل معلوماتهم، هو أقل ما يمكننا تقديمه للتخفيف عن المصابين وأسر الشهداء والمفقودين.
شهادةٌ توثيقية نضعها بين أيدي شرفاء الشعب السوداني وأجيالنا اللاحقة في هذا التوقيت بالذات لسببين:
أولهما وكما أسلفنا في مقدمته لمعرفة حجم التضحيات الجسام التي قدمتها الثورة.
ثانيهما توضيح وكشف الحقائق المسكوت عنها قبل أن تصبح نسياً منسياً.

ختاماً لا يسعنا سوى أن نقول
تقبل الله شهدائنا
وشفى جرحانا
ورد مفقودينا

الفريق العامل
أكتوبر ٢٠٢١م

المراجع

- سجلات مستشفيات فضيل/ رويال كير/ فيوتشر/ المعلم/ إمبريال/ إبراهيم مالك التعليمي/ أمدرمان التعليمي/ بحري التعليمي/ بشائر التعليمي/ الوعد/ الأربعين/ التركي/ الزيتونة/ دار العلاج/ الساحة/ البقعة/ طيبة/ حاج الصافي/ الفيصل/ علياء التخصصي/ التميز/ الدولي/ جمعية زارعي الكلى/ سوبا التعليمي/ الأسنان التعليمي/النيل الأبيض/ آسيا/ شرق النيل/ الكويتي/ البان جديد/ بيست كير/ السلاح الطبي/ الشريف للأمراض النفسية/التجاني الماحي/ طه بعشر/ مكة للعيون/ الوالدين الخيري للعيون ومركز الزرقاء التخصصي للعيون.
- سجلات مراكز آلن للعلاج الطبيعي/ فاميلي لطب وزراعة الأسنان وبرانمارك لطب وزراعة الأسنان.
- سجلات مشارح مستشفيات الأكاديمي/ بشائر وأمدرمان.
- تقرير هيئة الطب العدلي (ملخص دخولات المشارح ٣-٦ يونيو ٢٠١٩م).
- سجلات مركز جامعة الأحفاد للإرشاد وعلاج الصدمة النفسية.
- سجلات مبادرة حاضرين.
- سجلات منظمة مصابي ثورة ديسمبر.
- سجلات مبادرة مفقود.

إهداء خاص

الفقيد / محمد صالح محمد

كان أحد الجنود المجهولين بمبادرة حاضرين وفريقها
العامل.. ولروحه يهدي الفريق العامل هذا العمل